الْخُطَبُ الْمِنْبَرِيَّةُ

تَأْلِيفُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْبَشِيرِ بْنِ عُمَرَ الْإِبْرَاهِيمِيِّ

خُطْبَةٌ جُمُعِيَّةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ. مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَمَنْ يَهْدِ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ. فَنَسْأَلُهُ الْهِدَايَةَ لِإِحْيَاءِ السُّنَنِ وَالْوِقَايَةِ مِنْ شُرُورِ الْبِدَعِ. وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ وَفَّقَ لِإِحْيَاءِ هَذِهِ الشَّعِيرَةِ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَعَانَ عَلَى إِتْمَامِ شُرُوطِهَا وَتَكْمِيلِ أَسْبَابِهَا وَنَسْتَزِيدُهُ مِنْ فَضْلِهِ حَتَّى تُقَامَ شَعَائِرُهُ، وَتُنَفَّذَ حُدُودُهُ وَأَوَامِرُهُ. فَلَوْلَا تَوْفِيقُهُ مَا تَمَّ عَمَلٌ. وَلَوْلَا إِعَانَتُهُ مَا ظَفِرَ رَاغِبٌ بِأَمَلٍ. وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْمُتَعَالِي عَنْ هَوَاجِسِ الظُّنُونِ، الْمُنْفَرِدُ بِالْإِنْشَاءِ، وَإِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ

كُنْ فَيَكُونُ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَاكُّ الْعُقُولِ مِنْ أَسْرِ اعْتِقَالِهَا. وَمُحَرِّرُ الْحَقَائِقِ مِنْ شَوَائِبِ الْأَوْهَامِ وَأَكْبَالِهَا.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا مِنَ الْأَيَّامِ الْمَشْهُودَةِ، وَسَمَهُ دِينُكُمْ بِسِمَةٍ هِيَ الْغُرَّةُ اللَّائِحَةُ فِي جَبِينِ الْأَيَّامِ، وَهِيَ هَذِهِ الشَّعِيرَةُ الَّتِي تُقِيمُونَ أَرْكَانَهَا، وَتَجْتَمِعُونَ لِأَجْلِهَا.

فَاحْمَدُوا اللهَ تَعَالَى عَلَى الْهِدَايَةِ، وَاسْأَلُوهُ أَنْ تَكُونَ كُلُّ سَاعَةٍ تَأْتِي بَعْدَ سَاعَتِكُمْ هَذِهِ خَيْرًا مِمَّا قَبْلَهَا. وَأَنْ يَكُونَ اجْتِمَاعُكُمْ هَذَا فَاتِحَةَ اجْتِمَاعَاتٍ فِي الْخَيْرِ تَنْقَضِي مَعَ الْعُمُرِ، تَتَآمَرُونَ فِيهَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَتَنَاهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَتَوَاصَوْنَ بِالْحَقِّ وَتَتَوَاصَوْنَ بِالصَّبْرِ.

عِبَادَ اللهِ لَوْ كَانَتْ كَلِمَةُ الْحِكْمَةِ تُوَازَنُ بِالذَّهَبِ، أَوْ تُقَدَّرُ بِالْمَالِ وَالنَّشَبِ، لَكَانَتْ كَلِمَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ هِيَ تِلْكَ الْكَلِمَةَ. وَفَوْقَهَا قَدْرًا وَقِيمَةً تِلْكَ الْحِكْمَةُ الَّتِي ثَقَّفَتْهَا الْفِكْرَةُ الْعَالِيَةُ. وَمَحَّضَتْهَا الْخِبْرَةُ الرَّاقِيَةُ. وَهِيَ قَوْلُهُ- رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-: "قِيمَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ مَا يُحْسِنُهُ".

بَيَّنَ لَنَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَهُوَ مَصْدَرُ الْبَيَانِ، وَيَنْبُوعُ التِّبْيَانِ، أَنَّ الْأَعْمَارَ هِيَ الْأَعْمَالُ، وَبِالْإِحْسَانِ فِيهَا تَتَفَاوَتُ قِيمَةُ الرِّجَالِ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَرْجِعُ إِلَى وَزْنٍ بِمِيزَانٍ، وَلَا كَيْلٍ بِقُفْزَانٍ، وَإِنَّمَا هُوَ عَقْلٌ مُفَكِّرٌ، وَلِسَانٌ مُتَذَكِّرٌ. وَمَنْ لَا عَمَلَ لَهُ، فَلَا عُمُرَ لَهُ. وَمَنْ لَا أَثَرَ لَهُ فِي الدِّينِ يَمْتَثِلُ بِهِ أَمْرَ رَبِّهِ، وَلَا أَثَرَ لَهُ فِي الدُّنْيَا تَزْدَانُ بِهِ صَحِيفَةُ كَسْبِهِ. فَوُجُودُهُ عَدَمٌ، وَعُقْبَاهُ نَدَمٌ وَحَيَاتُهُ مَسْلُولَةُ الِاعْتِبَارِ. وَإِنْ شَارَكَ الْأَحْيَاءَ فِي الصِّفَةِ وَالْمُمَيِّزَاتِ.

فَاحْرِصُوا، رَحِمَكُمُ اللهُ، عَلَى أَنْ تَكُونَ لِحَيَاتِكُمْ قِيمَةٌ. وَارْبَأُوا عَنْ أَنْ تَكُونَ فِي كِفَّةِ النَّحْسِ وَالْهَضِيمَةِ. وَاسْعَوْا فِي الْوُصُولِ بِهَا إِلَى الْقِيَمِ الْغَالِيَةِ، وَالْحُصُولِ مِنْهَا عَلَى الْحِصَصِ الْعَالِيَةِ.

وَانَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي تُجَمِّلُ الْحَيَاةَ وَتُغْلِيهَا، وَتَقِفُ بِهَا فِي مُسْتَوَى الْإِجْلَالِ وَتُحْيِيهَا لَا تَعْدُو نَوْعَيْنِ: وَظَائِفَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي هِيَ سُورُ الْوَحْدَانِيَّةِ، وَالْعُنْوَانُ الصَّادِقُ عَلَى الْإِخْلَاصِ فِي الْعُبُودِيَّةِ، وَهِيَ أَخَفُّ النَّوْعَيْنِ مَحْمَلًا وَأَقْرَبُهُمَا تَحْصِيلًا وَعَمَلًا، لِأَنَّ اللهَ لَمْ يُكَلِّفْكُمْ مِنْ عِبَادَتِهِ إِلَّا بِالْيَسِيرِ، وَشَغَلَ بِهَا الْقَلِيلَ مِنْ أَوْقَاتِكُمْ وَتَرَكَ لَكُمُ الْكَثِيرَ.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي السَّعْيُ فِيمَا تَقُومُ بِهِ هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ وَتَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ عِمَارَتُهَا، وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى الدِّينِ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ، وَتَمْحِيضِ الْقَصْدِ لِلْجَرْيِ عَلَى حِكْمَةِ اللهِ وَتَأْيِيدِ سُنَنِهِ الْكَوْنِيَّةِ.

جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، وَكَشَفَ عَنْ قُلُوبِنَا- لِإِدْرَاكِ الْحَقَائِقِ- حِجَابَ الْغَفْلَةِ وَالسِّنَةِ، وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ. وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ شَهَادَةَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَخْلَصَ تَوْحِيدَهُ، وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ أُمُورِهِ، فَرَجَا وَعْدَهُ وَخَافَ وَعِيدَهُ، وَرَفَعَ أَكُفَّ الِابْتِهَالِ وَالضَّرَاعَةِ طَالِبًا لُطْفَهُ وَتَسْدِيدَهُ، وَفَضْلَهُ وَتَأْيِيدَهُ. وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِتْمَامًا لِنِصَابِ الْعَقِيدَةِ، وَتَنْوِيهًا بِمَزَايَاهُ الْحَمِيدَةِ، كَمَا نَصَرَ الْحَقَّ وَأَكْثَرَ عَدِيدَهُ، وَخَذَلَ الْبَاطِلَ وَأَبْلَى جَدِيدَهُ، وَتَمَّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ بِصِفَاتِهِ الْمَجِيدَةِ وَأَقْوَالِهِ السَّدِيدَةِ، وَبُعِثَ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ فَكَانَ لَبِنَةَ التَّمَامِ وَرَوِيَّ الْقَصِيدَةِ، - ﷺ -.

أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى حَقَّ التَّقْوَى، وَحَافِظُوا عَلَى حُدُودِهِ فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَى، وَامْتَثِلُوا أَمْرَ رَبِّكُمُ الَّذِي كَسَبَكُمْ بِهِ فَخْرًا وَتَعْظِيمًا، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. وَاعْلَمُوا أَنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا خُصِّصَ لِلِاجْتِمَاعِ وَالْعِبَادَةِ وَالْحُسْنَى وَالزِّيَادَةِ. فَأَقِيمُوا الْقَصْدَ فِي التَّقَرُّبِ مِنْ بَعْضِكُمْ وَدَعُوا الْأَحْقَادَ وَالتَّبَاغُضَ. وَأَسْبِلُوا عَلَى مَا فَرَطَ مِنْ بَعْضِكُمْ لِلْبَعْضِ أَذْيَالَ السَّتْرِ وَالْعَفْوِ. وَالْزَمُوا خُلُقَ الرِّضَا وَالصَّفْحِ. فَكُونُوا عِبَادَ اللهِ رُحَمَاءَ بَيْنَكُمْ، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾. وَفَّقَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِصَالِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَوَقَانِي وَإِيَّاكُمْ شَرَّ مَزَالِقِ الزَّلَلِ.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾. عِبَادَ اللهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

مِنْ خُطْبَةِ عِيدِ الْأَضْحَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُبْدِئِ الْمُعِيدِ، الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ، ذِي الْعَرْشِ الْمَجِيدِ، الْفَعَّالِ لِمَا يُرِيدُ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا ضِدَّ وَلَا نَدِيدَ، شَهَادَةَ مُخْلِصٍ فِي التَّوْحِيدِ، رَاجٍ لِلْحُسْنَى وَالْمَزِيدِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ لَبِنَةُ التَّمَامِ وَبَيْتُ الْقَصِيدِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَالتَّابِعِينَ، وَالنَّاصِرِينَ لِسُنَّتِهِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

اللهُ أَكْبَرُ! اللهُ أَكْبَرُ! عِبَادَ اللهِ! إِنَّ هَذَا الْعِيدَ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمَةِ، وَسُنَنِ الدِّينِ الْقَوِيمَةِ، شَرَعَ اللهُ فِيهِ هَذِهِ الصَّلَاةَ لِنَجْتَمِعَ بِقُلُوبِنَا وَأَجْسَادِنَا، وَنَتَعَاطَفَ وَنَتَرَاحَمَ وَنَتَسَامَحَ وَنَتَصَافَحَ، وَتَظْهَرَ الْأُخُوَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَلَى حَقِيقَتِهَا، وَشَرَعَ فِيهِ الْأُضْحِيَةَ لِنُوَسِّعَ فِيهَا عَلَى الْعِيَالِ، وَنُدْخِلَ الْفَرَحَ عَلَى النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ، وَنَتَصَدَّقَ مِنْهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالسُّؤَّالِ، وَبِهَذَا يَشْتَرِكُ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ فِي السُّرُورِ، وَيَتَقَارَبُ الْأَغْنِيَاءُ وَالْفُقَرَاءُ بِالرَّحْمَةِ، وَتَتَوَاصَلُ أَرْوَاحُهُمْ وَأَجْسَادُهُمْ بِالْأُخُوَّةِ

وَالْمَحَبَّةِ، وَيَتَذَكَّرُونَ جَمِيعًا مَا أَتَى بِهِ الدِّينُ الْحَنِيفُ مِنْ خَيْرٍ وَصَلَاحٍ وَمَعْرُوفٍ وَإِحْسَانٍ.

اللهُ أَكْبَرُ! عِبَادَ اللهِ! إِنَّ سُنَّةَ الْأُضْحِيَةِ مُرَغَّبٌ فِيهَا مِنْ نَبِيِّنَا - ﷺ - مِنْ كُلِّ قَادِرٍ عَلَيْهَا لَا تُجْحِفُ بِحَالِهِ، وَلَمَّا كَانَتْ قُرْبَةً إِلَى اللهِ فَإِنَّهُ يُشْتَرَطُ فِيهَا أَنْ تَكُونَ كَامِلَةَ الْأَجْزَاءِ، سَلِيمَةً مِنَ الْعُيُوبِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي مَقَامِ الْكَمَالِ: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي مَقَامِ الذَّمِّ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾. وَقَدْ كَانَ نَبِيُّنَا - ﷺ - يُرَغِّبُ فِي التَّصَدُّقِ مِنْ لَحْمِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ فِي أَعْوَامِ الْمَجَاعَةِ وَالْفَقْرِ كَعَامِنَا هَذَا، وَيَنْهَى عَنِ الِادِّخَارِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ، فَاجْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ- عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ- بَيْنَ الْأَكْلِ وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَإِنَّ الْوَقْتَ وَقْتٌ عَسِيرٌ، وَإِنَّ عَدَدَ الْفُقَرَاءِ- وَهُمْ إِخْوَانُكُمْ- كَثِيرٌ ...

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ هَذِهِ الشَّعِيرَةَ الدِّينِيَّةَ وَأَمْثَالَهَا مِنَ الشَّعَائِرِ هِيَ كَالرِّبْحِ فِي التِّجَارَةِ، لَا يَنْتَظِرُهُ التَّاجِرُ إِلَّا إِذَا كَانَ رَأْسُ الْمَالِ سَالِمًا، أَمَّا رَاسُ الْمَالِ فِي الدِّينِ فَهُوَ تَصْحِيحُ الْعَقَائِدِ، وَتَصْحِيحُ الْعِبَادَاتِ، وَتَصْحِيحُ الْأَخْلَاقِ الصَّالِحَةِ، وَاتِّبَاعُ سُنَّةِ نَبِيِّنَا - ﷺ - فِي كُلِّ مَا فَعَلَ وَتَرَكَ، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا وَالِانْتِصَارُ لَهَا، وَنَبْذُ

الْبِدَعِ الْمُخَالِفَةِ لَهَا، ثُمَّ صَرْفُ الْوَقْتِ الزَّائِدِ عَلَى ذَلِكَ فِي الْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ ذَلِيلًا حَقِيرًا، وَإِنَّمَا يَرْضَى لَهُ بَعْدَ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ أَنْ يَكُونَ عَزِيزًا شَرِيفًا عَامِلًا لِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ، مُعِينًا لِإِخْوَانِهِ عَلَى الْخَيْرِ، نَاصِحًا لَهُمْ، آخِذًا بِيَدِ ضَعِيفِهِمْ، مُحْسِنًا لَهُمْ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَبِجَاهِهِ وَمَالِهِ.

فَصَحِّحُوا عَقَائِدَكُمْ فِي اللهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ، فَرْدٌ صَمَدٌ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، هُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ وَالضَّرِّ وَالنَّفْعِ. فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ وَالْعِبَادَةَ، وَلَا تَدْعُوا مَعَهُ أَحَدًا وَلَا مِنْ دُونِهِ أَحَدًا، وَطَهِّرُوا أَنْفُسَكُمْ وَعُقُولَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْعَقَائِدِ الْبَاطِلَةِ الرَّائِجَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ، فَإِنَّهَا أَهْلَكَتْهُمْ وَأَضَلَّتْهُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْبِدَعَ فِي الدِّينِ فَإِنَّهَا مُفْسِدَةٌ لَهُ، وَكُلُّ مَا خَالَفَ السُّنَّةَ الثَّابِتَةَ عَنْ نَبِيِّنَا - ﷺ - فَهُوَ بِدْعَةٌ.

وَصَحِّحُوا عِبَادَاتِكُمْ بِمَعْرِفَةِ أَحْكَامِهَا وَشُرُوطِهَا وَمَعْرِفَةِ مَا هُوَ مَشْرُوعٌ وَمَا هُوَ غَيْرُ مَشْرُوعٍ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنْكُمْ إِلَّا مَا شَرَعَهُ لَكُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ - ﷺ -.

خُطْبَةُ الْأُسْتَاذِ الْإِمَامِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْبَشِيرِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ يَوْمَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ الْأُولَى فِي مَسْجِدِ "كِتْشَاوَا" بِالْجَزَائِرِ الْعَاصِمَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَتْ أَسْمَاؤُهُ وَتَمَّتْ كَلِمَاتُهُ صِدْقًا وَعَدْلًا، لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ، جَعَلَ النَّصْرَ يَتَنَزَّلُ مِنْ عِنْدِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ حَيْثُ يَبْتَلِيهِمْ فَيَعْلَمُ الْمُصْلِحَ مِنَ الْمُفْسِدِ، وَيَعْلَمُ صِدْقَ يَقِينِهِمْ وَإِخْلَاصَ نِيَّاتِهِمْ، وَصَفَاءَ سَرَائِرِهِمْ، وَطَهَارَةَ ضَمَائِرِهِمْ.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ السَّيْفَ فُرْقَانًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَأَنْتَجَ مِنَ الْمُتَضَادَّاتِ أَضْدَادَهَا، فَأَخْرَجَ الْقُوَّةَ مِنَ الضَّعْفِ، وَوَلَّدَ الْحُرِّيَّةَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ، وَجَعَلَ الْمَوْتَ طَرِيقًا إِلَى الْحَيَاةِ، وَمَا أَعْذَبَ الْمَوْتَ إِذَا كَانَ لِلْحَيَاةِ طَرِيقًا، وَبَايَعَهُ عِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ عَلَى الْمَوْتِ، فَبَاعُوا بِالصَّفْقَةِ الرَّابِحَةِ، وَ﴿اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ ...

سُبْحَانَهُ تَعَالَى جَدُّهُ، تَجَلَّى عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ بِالْغَضَبِ وَالسَّخَطِ فَأَحَالَ مَسَاجِدَ التَّوْحِيدِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ إِلَى كَنَائِسَ لِلتَّثْلِيثِ، وَتَجَلَّى بِرَحْمَتِهِ وَرِضَاهُ عَلَى آخَرِينَ فَأَحَالَ فِيهِمْ كَنَائِسَ التَّثْلِيثِ إِلَى مَسَاجِدَ لِلتَّوْحِيدِ، وَمَا ظَلَمَ الْأَوَّلِينَ وَلَا حَابَى الْآخَرِينَ، وَلَكِنَّهَا سُنَّتُهُ فِي الْكَوْنِ وَآيَاتُهُ فِي الْآفَاقِ يَتَّبِعُهَا قَوْمٌ فَيُفْلِحُونَ، وَيُعْرِضُ عَنْهَا قَوْمٌ فَيَخْسَرُونَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ شَرَعَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَاتَلَ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ حَتَّى اسْتَقَامَ دِينُ الْحَقِّ فِي نِصَابِهِ، وَأَدْبَرَ الْبَاطِلُ عَلَى كَثْرَةِ أَنْصَارِهِ وَأَحْزَابِهِ، وَجَعَلَ نَصْرَ الْفِئَةِ الْقَلِيلَةِ عَلَى الْفِئَةِ الْكَثِيرَةِ مَنُوطًا بِالْإِيمَانِ وَالصَّبْرِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ مُتَّبِعٍ لِهُدَاهُ، دَاعٍ بِدَعْوَتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَنَسْتَنْزِلُ مِنْ رَحَمَاتِ اللهِ الصَّيِّبَةِ، وَصَلَوَاتِهِ الزَّاكِيَةِ الطَّيِّبَةِ لِشُهَدَائِنَا الْأَبْرَارِ مَا يَكُونُ كِفَاءً لِبُطُولَتِهِمْ فِي الدِّفَاعِ عَنْ شَرَفِ

الْحَيَاةِ وَحُرُمَاتِ الدِّينِ وَعِزَّةِ الْإِسْلَامِ وَكَرَامَةِ الْإِنْسَانِ وَحُقُوقِ الْوَطَنِ.

وَأَسْتَمِدُّ مِنَ اللهِ اللُّطْفَ وَالْإِعَانَةَ لِبَقَايَا الْمَوْتِ وَآثَارِ الْفَنَاءِ مِمَّنِ ابْتُلُوا فِي هَذِهِ الثَّوْرَةِ الْمُبَارَكَةِ بِالتَّعْذِيبِ فِي أَبْدَانِهِمْ وَالتَّخْرِيبِ لِدِيَارِهِمْ وَالتَّحَيُّفِ لِأَمْوَالِهِمْ.

وَأَسْأَلُهُ تَعَالَى لِلْقَائِمِينَ بِشُؤُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أُلْفَةً تَجْمَعُ الشَّمْلَ، وَوَحْدَةً تَبْعَثُ الْقُوَّةَ، وَرَحْمَةً تُضَمِّدُ الْجِرَاحَ، وَتَعَاوُنًا يُثْمِرُ الْمَنْفَعَةَ، وَإِخْلَاصًا يُهَوِّنُ الْعَسِيرَ، وَتَوْفِيقًا يُنِيرُ السَّبِيلَ، وَتَسْدِيدًا يُقَوِّمُ الرَّأْيَ وَيُثَبِّتُ الْأَقْدَامَ، وَحِكْمَةً مُسْتَمَدَّةً مِنْ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ وَرُوحَانِيَّةِ الشَّرْقِ وَأَمْجَادِ الْعَرَبِ، وَعَزِيمَةً تَقْطَعُ دَابِرَ الِاسْتِعْمَارِ مِنَ النُّفُوسِ، بَعْدَ أَنْ قَطَعَتْ دَابِرَهُ مِنَ الْأَرْضِ.

وَنَعُوذُ بِاللهِ وَنَبْرَأُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ دَاعٍ يَدْعُو إِلَى الْفُرْقَةِ وَالْخِلَافِ، وَكُلِّ سَاعٍ يَسْعَى إِلَى التَّفْرِيقِ وَالتَّمْزِيقِ وَكُلِّ نَاعِقٍ يَنْعِقُ بِالْفِتْنَةِ وَالْفَسَادِ.

وَنُحَيِّي بِالْعَمَارِ وَالثِّمَارِ وَالْغَيْثِ الْمِدْرَارِ هَذِهِ الْقِطْعَةَ الْغَالِيَةَ مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ الَّتِي نُسَمِّيهَا الْجَزَائِرَ، وَالَّتِي فِيهَا نَبَتْنَا، وَعَلَى حُبِّهَا تَبَتْنَا، وَمِنْ نَبَاتِهَا غُذِينَا وَفِي سَبِيلِهَا أُوذِينَا.

أُحَيِّيكَ يَا مَعْنَى الْكَمَالِ بِوَاجِبٍ ... وَأُنْفِقُ فِي أَوْصَافِكَ الْغُرِّ أَوْقَاتِي

يَا أَتْبَاعَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الْأَزْهَرُ الْأَنْوَرُ وَهَذَا هُوَ الْيَوْمُ الْأَغَرُّ الْمُحَجَّلُ، وَهَذَا هُوَ الْيَوْمُ الْمَشْهُودُ فِي تَارِيخِكُمُ الْإِسْلَامِيِّ بِهَذَا الشَّمَالِ، وَهَذَا الْيَوْمُ هُوَ الْغُرَّةُ اللَّائِحَةُ فِي وَجْهِ ثَوْرَتِكُمُ الْمُبَارَكَةِ، وَهَذَا هُوَ التَّاجُ الْمُتَأَلِّقُ فِي مَفْرِقِهَا، وَالصَّحِيفَةُ الْمُذَهَّبَةُ الْحَوَاشِي وَالطُّرَرِ مِنْ كِتَابِهَا.

وَهَذَا الْمَسْجِدُ هُوَ حِصَّةُ الْإِسْلَامِ مِنْ مَغَانِمِ جِهَادِكُمْ، بَلْ هُوَ وَدِيعَةُ التَّارِيخِ فِي ذِمَمِكُمْ، أَضَعْتُمُوهَا بِالْأَمْسِ مَقْهُورِينَ غَيْرَ مَعْذُورِينَ وَاسْتَرْجَعْتُمُوهَا الْيَوْمَ مَشْكُورِينَ غَيْرَ مَكْفُورِينَ، وَهَذِهِ بِضَاعَتُكُمْ رُدَّتْ إِلَيْكُمْ، أَخَذَهَا الِاسْتِعْمَارُ مِنْكُمُ اسْتِلَابًا، وَأَخَذْتُمُوهَا مِنْهُ غِلَابًا، بَلْ هَذَا بَيْتُ التَّوْحِيدِ عَادَ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَعَادَ إِلَيْهِ التَّوْحِيدُ فَالْتَقَيْتُمْ جَمِيعًا عَلَى قَدَرٍ.

إِنَّ هَذِهِ الْمَوَاكِبَ الْحَاشِدَةَ بِكُمْ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ يَعْمُرُهَا الْفَرَحُ، وَيَطْفَحُ عَلَى وُجُوهِهَا الْبِشْرُ لَتَجْسِيمٌ لِذَلِكَ الْمَعْنَى الْجَلِيلِ، وَتَعْبِيرٌ فَصِيحٌ عَنْهُ، وَهُوَ أَنَّ الْمَسْجِدَ عَادَ إِلَى السَّاجِدِينَ الرُّكَّعِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، وَأَنَّ كَلِمَةَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عَادَتْ لِمُسْتَقَرِّهَا مِنْهُ كَأَنَّ

مَعْنَاهَا دَامَ مُسْتَقِرًّا فِي نُفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ، فَالْإِيمَانُ الَّذِي تُتَرْجِمُ عَنْهُ كَلِمَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، هُوَ الَّذِي أَعَادَ الْمَسْجِدَ إِلَى أَهْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي أَتَى بِالْعَجَائِبِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي هَذِهِ الثَّوْرَةِ.

وَأَمَا وَاللهِ لَوْ أَنَّ الِاسْتِعْمَارَ الْغَاشِمَ أَعَادَهُ إِلَيْكُمْ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ، وَفَيْئَةً مِنْهُ إِلَى الْحَقِّ مِنْ دُونِ نَصَبٍ، لَمَا كَانَ لِهَذَا الْيَوْمِ مَا تَشْهَدُونَهُ مِنَ الرَّوْعَةِ وَالْجَلَالِ.

يَا مَعْشَرَ الْجَزَائِرِيِّينَ: إِذَا عُدَّتِ الْأَيَّامُ ذَوَاتُ السِّمَاتِ، وَالْغُرَرِ وَالشِّيَاتِ فِي تَارِيخِ الْجَزَائِرِ فَسَيَكُونُ هَذَا الْيَوْمُ أَوْضَحَهَا سِمَةً وَأَطْوَلَهَا غُرَّةً وَأَثْبَتَهَا تَمْجِيدًا، فَاعْجَبُوا لِتَصَارِيفِ الْأَقْدَارِ، فَلَقَدْ كُنَّا نَمُرُّ عَلَى هَذِهِ السَّاحَةِ مُطْرِقِينَ، وَنَشْهَدُ هَذَا الْمَشْهَدَ الْمُحْزِنَ مُنْطَوِينَ عَلَى مَضَضٍ يَصْهَرُ الْجَوَانِحَ وَيُسِيلُ الْعَبَرَاتِ، كَأَنَّ الْأَرْضَ تَلْعَنُنَا بِمَا فَرَّطْنَا فِي جَنْبِ دِينِنَا، وَبِمَا أَضَعْنَا بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِينَا مِنْ مِيرَاثِ أَسْلَافِنَا، فَلَا نَمْلِكُ إِلَّا الْحَوْقَلَةَ وَالِاسْتِرْجَاعَ، ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى مُطَالَبَاتٍ قَوْلِيَّةٍ هِيَ كُلُّ مَا نَمْلِكُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَلَكِنَّهَا نَبَّهَتِ الْأَذْهَانَ، وَسَجَّلَتِ الِاغْتِصَابَ، وَبَذَرَتْ بُذُورَ الثَّوْرَةِ فِي النُّفُوسِ حَتَّى تَكَلَّمَتِ الْبَنَادِقُ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: قَدْ يَبْغِي الْوَحْشُ عَلَى الْوَحْشِ فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ غَرِيبًا، لِأَنَّ الْبَغْيَ مِمَّا رُكِّبَ فِي غَرَائِزِهِ، وَقَدْ يَبْغِي الْإِنْسَانُ عَلَى الْإِنْسَانِ فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عَجِيبًا لِأَنَّ فِي الْإِنْسَانِ عِرْقًا نَزَّاعًا إِلَى الْحَيَوَانِيَّةِ وَشَيْطَانًا نَزَّاغًا بِالظُّلْمِ، وَطَبْعًا مِنَ الْجِبِلَّةِ الْأُولَى مَيَّالًا إِلَى الشَّرِّ، وَلَكِنَّ الْعَجِيبَ الْغَرِيبَ مَعًا، وَالْمُؤْلِمَ الْمُحْزِنَ مَعًا، أَنْ يَبْغِيَ دِينُ عِيسَى رُوحِ اللهِ وَكَلِمَتِهِ عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ.

يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّكُمْ لَمْ تَسْتَرْجِعُوا مِنْ هَذَا الْمَسْجِدِ سُقُوفَهُ وَأَبْوَابَهُ وَحِيطَانَهُ، وَلَا فَرِحْتُمْ بِاسْتِرْجَاعِهِ فَرْحَةَ الصِّبْيَانِ سَاعَةً ثُمَّ تَنْقَضِي، وَلَكِنَّكُمُ اسْتَرْجَعْتُمْ مَعَانِيَهُ الَّتِي كَانَ يَدُلُّ عَلَيْهَا الْمَسْجِدُ فِي الْإِسْلَامِ وَوَظَائِفَهُ الَّتِي كَانَ يُؤَدِّيهَا مِنْ إِقَامَةِ شَعَائِرِ الصَّلَوَاتِ وَالْجُمَعِ وَالتِّلَاوَةِ وَدُرُوسِ الْعِلْمِ النَّافِعَةِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا، مِنْ دِينِيَّةٍ وَدُنْيَوِيَّةٍ. فَإِنَّ الْمَسْجِدَ كَانَ يُؤَدِّي وَظِيفَةَ الْمَعْهَدِ وَالْمَدْرَسَةِ وَالْجَامِعَةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ اللهَ ذَمَّ قَوْمًا فَقَالَ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾، وَمَدَحَ قَوْمًا فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى

الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}.

يَا مَعْشَرَ الْجَزَائِرِيِّينَ: إِنَّ الِاسْتِعْمَارَ كَالشَّيْطَانِ الَّذِي قَالَ فِيهِ نَبِيُّنَا - ﷺ -: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا دُونَ ذَلِكَ"، فَهُوَ قَدْ خَرَجَ مِنْ أَرْضِكُمْ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ مَصَالِحِ أَرْضِكُمْ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ أَلْسِنَتِكُمْ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ قُلُوبِ بَعْضِكُمْ، فَلَا تُعَامِلُوهُ إِلَّا فِيمَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ، وَمَا أُبِيحَ لِلضَّرُورَةِ يُقَدَّرُ بِقَدْرِهَا.

يَا مَعْشَرَ الْجَزَائِرِيِّينَ، إِنَّ الثَّوْرَةَ قَدْ تَرَكَتْ فِي جِسْمِ أُمَّتِكُمْ نُدُوبًا لَا تَنْدَمِلُ إِلَّا بَعْدَ عَشَرَاتِ السِّنِينَ، وَتَرَكَتْ عَشَرَاتِ الْآلَافِ مِنَ الْيَتَامَى وَالْأَيَامَى وَالْمُشَوَّهِينَ الَّذِينَ فَقَدُوا الْعَائِلَ وَالْكَافِلَ وَآلَةَ الْعَمَلِ، فَاشْمَلُوهُمْ بِالرِّعَايَةِ حَتَّى يَنْسَى الْيَتِيمُ مَرَارَةَ الْيُتْمِ، وَتَنْسَى الْأَيِّمُ حَرَارَةَ الثُّكْلِ، وَيَنْسَى الْمُشَوَّهُ أَنَّهُ عَالَةٌ عَلَيْكُمْ، وَامْسَحُوا عَلَى أَحْزَانِهِمْ بِيَدِ الْعَطْفِ وَالْحَنَانِ فَإِنَّهُمْ أَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ.

يَا إِخْوَانِي: إِنَّكُمْ خَارِجُونَ مِنْ ثَوْرَةٍ الْتَهَمَتِ الْأَخْضَرَ وَالْيَابِسَ، وَإِنَّكُمُ اشْتَرَيْتُمْ حُرِّيَّتَكُمْ بِالثَّمَنِ الْغَالِي، وَقَدَّمْتُمْ فِي سَبِيلِهَا مِنَ

الضَّحَايَا مَا لَمْ يُقَدِّمْهُ شَعْبٌ مِنْ شُعُوبِ الْأَرْضِ قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا، وَحُزْتُمْ مِنْ إِعْجَابِ الْعَالَمِ بِكُمْ مَا لَمْ يَحُزْهُ شَعْبٌ ثَائِرٌ، فَاحْذَرُوا أَنْ يَرْكَبَكُمُ الْغُرُورُ وَيَسْتَزِلَّكُمُ الشَّيْطَانُ، فَتُشَوِّهُوا بِسُوءِ تَدْبِيرِكُمْ مَحَاسِنَ هَذِهِ الثَّوْرَةِ أَوْ تَقْضُوا عَلَى هَذِهِ السُّمْعَةِ الْعَاطِرَةِ.

إِنَّ حُكُومَتَكُمُ الْفَتِيَّةَ مِنْكُمْ، تَلَقَّتْ تَرِكَةً مُثْقَلَةً بِالتَّكَالِيفِ وَالتَّبِعَاتِ فِي وَقْتٍ ضَيِّقٍ لَمْ يُجَاوِزْ أَسَابِيعَ، فَأَعِينُوهَا بِقُوَّةٍ، وَانْصَحُوهَا فِي مَا يَجِبُ النُّصْحُ فِيهِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَلَا تَقْطَعُوا أَوْقَاتَكُمْ فِي السَّفَاسِفِ وَالصَّغَائِرِ، وَانْصَرِفُوا بِجَمِيعِ قُوَاكُمْ إِلَى الْإِصْلَاحِ وَالتَّجْدِيدِ، وَالْبِنَاءِ وَالتَّشْيِيدِ، وَلَا تَجْعَلُوا لِلشَّيْطَانِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا مَنْفَذًا يَدْخُلُ مِنْهُ، وَلَا لِحُظُوظِ النَّفْسِ بَيْنَكُمْ مَدْخَلًا.

وَفَّقَكُمُ اللهُ جَمِيعًا، وَأَجْرَى الْخَيْرَ عَلَى أَيْدِيكُمْ جَمِيعًا، وَجَمَعَ أَيْدِيَكُمْ عَلَى خِدْمَةِ الْوَطَنِ، وَقُلُوبَكُمْ عَلَى الْمَحَبَّةِ لِأَبْنَاءِ الْوَطَنِ، وَجَعَلَكُمْ مُتَعَاوِنِينَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى غَيْرَ مُتَعَاوِنِينَ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ

لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.